" التغريب الثقافي في الواقع العراقي "

الثقافة الشعبية أنموذجا

حارث علي حسن العبيدي / مدرس علم الاجتماع
كلية الآداب / جامعة الموصل / العراق

الملخص

تواجه المجتمعات العالمية بصورة عامة والمجتمع العربي بصورة خاصة تغيرا ثقافيا لأسباب عديدة، منها مادي وآخر معنوي. وهذه مسالة طبيعية بسبب حتمية ظاهرة التغير بوصفها سمة من سمات الثقافة. لكن أن يكون التغير مقنن وموجه باتجاه معين ومن مصدر محدد، فان هذه المسالة تحتاج وقفة بحث وتمحيص ودراسة لأنها يمكن أن تمس نظم وقيم المجتمع التي تشكل ارثه الثقافي الممتد لتاريخ حضاري طويل.

إن هذا ما تواجهه ثقافة مجتمعنا العربي بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة في هذه الحقبة الزمنية من التاريخ، والذي تواكبت عليه موجات وتيارات التغيير من الخارج متمثلة في الحروب الصليبية ورحلات الاستشراق والمستشرقين وصولا إلى المرحلة الراهنة متجسدة بالغزو الثقافي لتنفيذ مشاريع التغريب ومخططاته، معتمدة على آليات وأساليب مختلفة باختلاف أنماط الثقافات وخصوصياتها، بهدف اختيار الأداة التي تناسب ثقافة المجتمع وسماتها للولوج إلى جوهره من القيم الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية التي تشكل تراثه الذي يتسم بالأصالة بعمقه التاريخي والحضاري.

إن التغريب..بوصفه " إضفاء الثقافة الغربية **westernization** على الثقافة العالمية "، وهو " الدافع نحو الاتساق الكوكبي " و " تقييس أنماط الحياة على مستوى العالم "[1]. وتأسيسا على هذا قد يدخل ضمن الحداثة العالمية لأنها " تركز على التحيز الغربي أي ميلها نحو التأكيد على التجربة المحددة للغرب مع تجاهل أو حجب و قمع التنوع الفكري الذي تتسم به الثقافات غير الغربية"[2]. وان التغريب اتجه نحو ثقافة المجتمع العربي تحت إطار مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم التي تجري حول الشعب العربي وتطبق على مجتمعاتهم فتؤدي بهم في النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربي والحضارة الغربية الموجهة نحو افراد المجتمع العربي، ويكونوا تحت تأثير الحضارة بحيث تحتويهم وتقضي على شخصياتهم وعلى ولائهم لدينهم وقيمهم التي تؤطر ثقافتهم الشعبية **folk culture**.

إن هذا الغزو الثقافي الغربي في معظمه يهدف إلى ضرب أسس المجتمع ومفاصله الحساسة المتمثلة في ثقافته الشعبية بوصفها وعاءا لقيمه وثوابته وعقيدته، بقصد تحويله إلى مجتمع غربي الثقافة بأنماطها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والأخلاقية. ومن ثم واستلاب هويته العروبية الحضارية واستبدالها بهوية دخيلة هجينة ذات قيم نفعية مادية تفتقد الجانب الروحي والمعنوي، وكذلك بهدف إعادة تشكيل شخصية الإنسان العربي وفق مقاسات الثقافة الغربية وقيمها ومعاييرها ، وسلخه من واقعه الأخلاقي وخلع ردائه الاجتماعي والثقافي القائم على التضامن

والتكافل والعلاقات الاجتماعية الأولية التي تشكل تنظيمه الاجتماعي، وبالتالي تيسير وتسهيل تحقيق أهدافهم بالسيطرة على مقدراته وتحويله إلى تابع متلقي ينفذ ما يملئ عليه بعد أن كان واحدا من منابع ومصادر للحضارات الإنسانية.

إن واقع الثقافة الشعبية العراقية يسير نحو تغيير مقلق باتجاه تقليد واقتباس أنماط حياة اجتماعية **social life** يومية ذات طرز غربية بكل تفاصيلها المادية والمعنوية التي تتقاطع مع ثقافتنا وقيمنا الحضارية، من خلال محاولة تغريبه وإبعاده عن قيمه وعروبته وأصالته. وهذا ما يفرض علينا الوقوف عنده طويلا، لبحثه وتسليط الضوء عليه لكشف آليات وأدوات هذا التغريب والوقوف على أهم مظاهره.

وبهذا تتمحور مشكلة البحث في التساؤلات..ما الآليات التي يتبعها الغرب في تغريب الثقافة الشعبية العراقية ؟ ما أبعاد هذا التغريب؟ ما الأدوات والوسائل لتنفيذ هذه الآليات؟ ما أهم مظاهر هذا التغريب؟

أما أهمية البحث..

فتتجلى في تسليط الضوء على ظاهرة مهمة وخطيرة وهي "التغريب" ومدى إفادته البحث للبحوث الاجتماعية والانثروبولوجية اللاحقة، **وكذلك** قد يساعد في مجالات التنمية الاجتماعية والثقافية على مستوى الفرد والجماعة والمؤسسة. من خلال ما يقدمه من صورة حقيقية لواقع الثقافة الشعبية كما هي وما تواجهه من تحديات اجتماعية وسياسية وثقافية ، وبالتالي قد يساهم نسبيا في وضع الخطط التنموية المناسبة.

ويهدف البحث إلى..

معرفة الآليات والوسائل التي يتبعها الغرب في تغريب الثقافة الشعبية. وتحديد أدوات تنفيذ هذه الآليات. فضلا عن الوقوف على أهم مظاهر التغريب في سمات وخصائص الثقافة الشعبية العراقية.

واعتمد الباحث إطار منهجي شمولي من خلال المنهج المتعدد المداخل "multi – dimensional research method" ، فضلا عن المزاوجة بين علمي الاجتماع والانثروبولوجيا ضمن الاتجاه السوسيوانثروبولوجي لوضع رؤية تحليلية واقعية.

أما البحث فقد تضمن أربعة مباحث مع مقدمة وخاتمة. واشتمل المبحث الأول على الإطار المتهجي للبحث بعنواناته الفرعية (مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجيته وتحديد المصطلحات). وتناول المبحث الثاني آلية تغريب الثقافة الشعبية، في حين تضمن المبحث الثالث أدوات التغريب، أما المبحث الرابع فاشتمل مظاهر تغريب الثقافة الشعبية العراقية. وخاتمة البحث فكانت تضم أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع.